إن إحياء الحركة التعاونية هو جزء من عملية إحياء المجتمع المصري والعربي ككل من خلال بث الروح في تنظيماته الأهلية الطوعية وطوائفه المعبرة عن مصالح فئاته المختلفة، وهو واجب جهادي يتطلب نفسا طويلا وحكمة وصبرا، فليس بالعمل الخيري وحده يحيا المجتمع أو تتحقق التنمية والنهضة المنشودة

تمهيد

"..إن القواعد والقيم والإنجازات الكلاسيكية التي ظلت علامة مميزة للتعاونيات لعقود طويلة يمكنها أن تضيف إسهاما مهما إلى جهود المساعدة الأجنبية المعاصرة الثنائية والمتعددة الأطراف. وإذا كانت التنمية الاقتصادية تمثل عنصرا معززا للتحولات التنموية، وإذا كانت البلدان لن تتحول بدون تنمية اقتصادية وبدون توليد للثروة، فإنه يمكن للتعاونيات أن تساعد في تحفيز تلك التنمية، إلا أن نموذج التعاونيات يقدم – فوق ذلك- كلا من المشاركة والخبرة الاجتماعية والبناء الديمقراطي

obeikan.com

للمؤسسات، بما يوضح العلاقة الراسخة بين كل من التقدم الاقتصادي والاجتماعي وبين الديمقراطية في البلدان النامية.."[١]

هكذا رصد أحدث تقرير صادر حول التعاونيات الإمكانية التنموية الكامنة فيها، والذي أصدره "مجلس التنمية التعاونية عبر البحار" في أغسطس من عام ٢٠٠٧، وبين فيه كيف يمكن للتعاونيات أن تكون أداة لتطوير المجتمعات النامية في ظل التحولات الاقتصادية العالمية، وهو ما حدا بنا لاتخاذ مسارات تلك الإمكانية التنموية مدخلا لمقارنة آفاق الحركة التعاونية في العالم بما وصل إليه حال تعاونيات في بلادنا وتحديدا في مصر، بين "نقطة البداية" في أحضان الحركة الوطنية والتي كانت تهدف منها إلى تحرير الأرض والإنسان، وبين "نقطة النهاية" في أحضان الفساد والاستبداد لتصبح حركة ومؤسسات فاترة فاقدة المعنى والروح والحياة..وهو ما أفقدنا إمكانية كانت كفيلة بأن تضعنا – مع غيرها من الإمكانات التنموية المتاحة والمهدرة في آن – في مكانتنا التي تليق بنا كدولة محورية في الشرق العربي والإسلامي.

ولنقرأ على سبيل المثال نبذة من تقرير مصري ورد في "نقطة المنتصف" من حياة الحركة التعاونية المصرية يدل على مدى ما كان متعلقا بتلك الحركة من آمال تبددت على مر الأيام:

"تدل الإحصاءات العالمية الأخيرة للحركة التعاونية في العالم على قيام ٨١٠،٥١٢ جمعية تعاونية من مختلف الأنواع في مختلف الدول وعدد أعضاء هذه الجمعيات يبلغون ١٤٣،٢٦٠،٠٠٠ عضوا. والحركة التعاونية في مصر بحالتها الراهنة تمس مصالح أربعة ملايين من السكان، وهذا العدد

[١] – تقرير "التعاونيات: مسارات التنمية الاقتصادية والديمقراطية والاجتماعية في ظل الاقتصاد المعولم" صادر عن مجلس التنمية التعاونية الأمريكي عبر البحار، أغسطس ٢٠٠٧، ص ٣، طالع نص التقرير باللغة الإنجليزية: http://www.ocdc.coop/OCDC/CoopPathwaysReport.pdf

يمثله أعضاء في الجمعيات التعاونية يبلغ عددهم ٨٠٠،٠٠٠ عضوا ينتمون إلى ٢٠٠٠ جمعية تعاونية، وتختلف درجة قيام الجمعيات التعاونية بالخدمات التي يحتاجها هؤلاء الأعضاء في الإنتاج أو الاستهلاك قلة وكثرة بحسب نوع الجمعيات وبحسب القدرة المالية والإدارية لكل جمعية، ولا شك أن الجمعيات التعاونية بحالتها الراهنة في مصر لم تصل بعد إلى سد نسبة كبيرة من مجموع الخدمات التي يجب أن تؤديها لأعضائها. إن ما نرجوه لاقتصادنا القومي من تطور يجب أن يكون في مقدمة أهدافنا القومية ويجب أن يتبصر الرأي العام فيما نحن فيه من افتقار إلى الأخذ بما فاتنا من الانتفاع بالمخترعات الحديثة في الإنتاج وإلا بقي نصيب أمتنا من مجموع ثروة الأمم ضئيلا هزيلا فنمسي ونصبح شعبا من الجياع في عالم قد عمه الشبع، ويبقى السواد الأعظم من أفراد هذه الأمة في مؤخرة الأمم يخيم عليهم الجهل وينخر في بنيانهم المرض فإذا نحن بصرنا الرأي العام بكل هذا ووظدنا العزم على تنمية ثروتنا القومية وأخذنا بأساليب الصناعة الحديثة والإنتاج الكبير فلنحاذر من أن نخلق من هذه الثروة القومية الجديدة وسيلة لتضخم الثروات الخاصة في أيدي القليلين وارتفاع نسبة الفقر بين الملايين، فنحن في حاجة إلى رسم الطريق واضحة المعالم اتوزيع الثروة بين أبناء الشعب على أساس من العدل الاجتماعي في الوقت الذي نحن قادمون فيه على بناء صرح اقتصادنا القومي وتنمية ثروتنا القومية. ونظام التعاون في نظرنا صالح لهذا الغرض وهو جدير بأن يحمل نصيبه كاملا من تنظيم مرافقنا الاقتصادية"[٢].

[٢] – من تقرير عبد اللطيف عامر وكيل مصلحة التعاون، في الجلسة السادسة من المؤتمر الاقتصادي الأول المنعقد بدار الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة في ١٨ – ٢١ إبريل سنة ١٩٤٦، كتاب مجموعة أعمال المؤتمر، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٤٧، ص ص ١٨٨ – ١٨٩.

وفي هذه الرسالة الجديدة من رسائل الإصلاح والنهضة نتناول هذه الحركة وتلك الطاقة والإمكانية التنموية وما حدث فيها على مر السنين وحاجتنا إلى بعث الروح فيها بعد موات، وذلك من خلال خمسة فصول:

- الفصل الأول: حول ماهية التعاون ومبادئه
- الفصل الثاني: نشأة الأفكار والتجارب التعاونية وتطورها
- الفصل الثالث: الإمكانات التنموية للتعاونيات
- الفصل الرابع: تطور التعاونيات في مصر: من الحيوية إلى الفتور
- الفصل الخامس: الوضع الحالي للتعاونيات في مصر والأمل في غصلاحه

الفصل الأول
حول ماهية التعاون ومبادئه

التعاونية كما يعرفها الحلف التعاوني الدولي[٣] هي "رابطة ذاتية الإدارة تتكون من أفراد توحدوا طوعيا لتلبية احتياجاتهم وطموحاتهم الاقتصادية

[٣] : أنظر موقع الحلف التعاوني الدولي على شبكة الإنترنت: http://www.ica.coop/coop/principles.html

obeikan.com